الفصل الثاني

موضوع الحسد من خلال قصة

يعقوب من أبنائه عليه وعليهم السلام

المجتمع الإسلامي السوي يقوم على عقيدة سليمة صافية من الشوائب الفكرية التي تُعَكِّرُ على المجتمع صفوه، وتجعل منه مجتمعًا خائر البنية، ولذلك فالتوحيد الخالص هو روح الإسلام وجوهره؛ لأنه به يصلح العقل الإنساني...مناط التكليف الإلهي...وهذا هو ما يسعى إليه الإسلام في تشريعه وفي إرشاده لمجتمعاته.

ومحاربة العادات الاجتماعية الناجمة عن تصور خاطئ، والتي شاعت في المجتمع الإسلامي أمر لا بُدَّ منه لتطهير المجتمع المسلم من شوائب الخلل في فهم الدين، والذي بدوره ينعكس على الأدوار الفعالة في المجتمع.

وقضية الحسد من القضايا الاجتماعية التي ما زالت لها تأثير سلبي واضح في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فقد غالى فريق من الناس في الخوف من الحسد، حتى أصبح يشكل في حياتهم محورًا خطيرًا...فقد يعول بعضهم حدوث الشيء أو عدم حدوثه على الحسد، وقد يترك بعض الناس الأخذ بالأسباب في كسب معايشهم،

والسعي في حوائجهم...فيقفون دون العمل والجد بسبب اعتقادهم أنَّ هذا مرده وقوعهم في شراك الحسد، وفي الحقيقة أنَّ هذا وغيره مما انطوت عليه بعض المجتمعات الإسلامية من مفاهيم خاطئة، تدعو إلى التغييب العقلي...والبعد الحقيقي عن حيز الواقع، وما قد يصاب فيه الإنسان بوابل من المشكلات، قد تكون بسبب سوء تصرف من صاحبها...أو سوء تخطيط منه، أو عدم الأخذ الحازم بالأسباب، فيصير كل هذا وغيره سببًا في حدوث مشكلته، وليس الحسد كما يعتقد ويظن بعض الناس...فليس أمر الحسد معلقًا بكل الأمور.

ولخطورة هذا الموضوع على البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي، وتأثيراته السلبية الفتاكة، فقد استوقف الشعراوي موضوع الحسد من خلال قصة يعقوب – عليه السلام – مع أبنائه، وعالجه من منظور اجتماعي...ولذا نراه قد انسلخ عن أحداث القصة إلى موضوع الحسد وشرع يحدثنا عنه من جوانب معينة تشغل فكره...مفسرًا إياها من خلال مصدري التشريع الكتاب والسنة، وموظفًا معهما ما لديه من معلومات علمية تساعد المتلقي على حسن الفهم، وذلك من خلال خواطره حول قول الله – تعالى – حكاية عن (يعقوب) عليه السلام: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا

أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[1]

ولقد تناول الشعراوي موضوع الحسد دون إطالة منه، وعرض له بشكلٍ يسير يتناسب وواقع الجمهور المخاطب، فاتسمت ألفاظه بالبساطة، وخلت عباراته من التعقيد، وقدَّم ذلك التناول من خلال الأفكار التالية:

(أ) خوف يعقوب – عليه السلام – على أولاده من العين.

الحسد أمر فوق طاقة دفع البشر له.

(أ) عملية الحسد.

(ج) طرق الوقاية من الحسد.

(د) ضرورة الأخذ بالأسباب.

(أ)خوف يعقوب – عليه السلام – على أولاده من العين:

لقد استهل الشعراوي تفسيره للآية، بعرض موجز حول السبب في قول يعقوب – عليه السلام – لبنيه: (...لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ

---

[1] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

openkan.com

وَادۡخُلُوا مِنۡ أَبۡوَابٖ مُّتَفَرِّقَةٖ...)[1]، ولقد جمع في هذا العرض بين أقوال العلماء في هذه الآية، ولكن دون ذكر لموقف أصحابها من قضية العين.

والواقع أنَّ بعض أهل العلم يرون أنَّ أثر العين حق، ويقول بعضهم بأنَّ هذا «فعل الله تعالى»[2] فمن رأى بأنَّ يعقوب خاف عليهم من العين ذكر في تفسير الآية السابقة أنه – عليه السلام – نصحهم بأن يدخلوا من أبوابٍ متفرقة؛ لأجل أنه «خاف عليهم العين»[3] وفي الحقيقة أنَّ هذا القول كما ذكر الرازي هو «قول جمهور المفسرين أنه خاف من العين عليهم»[4]

هناك من قال أنَّ يعقوب – عليه السلام – أراد من هذه النصيحة أن يصرف مكر الماكرين عنهم «لأنهم كانوا ذوي بهاء، وشارة حسنة، اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك، والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود، وأن يشار إليهم بالأصابع، ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا...لأمر ما

---

[1] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج٢/ص٤٦٩.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٧/ص٢٤٩ «عزاه الضحاك».

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٩/ص١٠١.

أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه، فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبةً واحدة..فيصيبهم ما يسوؤهم...»[1]

ويرى الشعراوي أنَّ المراد من نصيحة يعقوب – عليه السلام – لأبنائه تعود لكلا السببين السابقين، ثم عرض لهما دون مناقشة مَنْ منهما أوجه في التفسير، كما تناولت هذا بعض التفاسير، بينما هو قد جمع بين الرأيين..ثم انصب على الرأي الذي يقول بأنَّ خشية يعقوب على أبنائه من الحسد هي ما دفعته لنصحهم بذلك، ومن وحي هذا المعنى انطلق الشعراوي إلى معالجة موضوع الحسد، وقبل أن نمضي معه في هذا أعرض ما قاله أولًا. يقول الشعراوي: «وقد قال يعقوب – عليه السلام – ذلك الكلام في المرة الثانية لذهابهم إلى مصر، بعد أن علم بحسن استقبال يوسف لهم، وأنَّ بضاعتهم ردت إليهم، وعلم بذلك أنهم صاروا أصحاب حظوة عند عزيز مصر، وساعة ترى إنسانًا له شأن فترقب أن يُعَادَى؛ لذلك توجس يعقوب خيفة أن يُدَبَّر لهم أحد مكيدة؛ لأنهم أغراب»[2] ثم أورد الشعراوي الرأي الثاني في سبب نصيحة يعقوب – عليه السلام – لبنيه بذلك. يقول الشعراوي: «وقد خاف يعقوب على أبنائه من الحسد،

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج٢/ص٤٦٩.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٤-٧٠١٥.

ونعلم أنَّ الحسد موجود»[1] وهو الرأي الذي عوَّل عليه الشعراوي في معالجته لموضوع الحسد.

وهكذا رأينا كيف جمع الشعراوي بين كلا الرأيين، حيث أنهما في الحقيقة شيء واحد، فالسبب الأول يفضي إلى حدوث السبب الثاني، فالحسد يؤدي إلى الحقد من الأعداء، وليس بين السببين إلا اختلاف لفظي، ولذلك من قال من المفسرين بأنَّ تأثير العين لا ينافي من قال بأنَّ هذا فعل الله تعالى، حيث أنه في الأصل كذلك، فمن أراد من المفسرين أن ينفي تأثير العين ليؤكد أنها بذاتها لا تملك التأثير أوَّل نصيحة يعقوب – عليه السلام – على أنها بسبب خشيته عليهم من أن يُمْكَرَ بهم، ومن قال بتأثير العين من المفسرين فسرها بأنَّ النصيحة كانت بسبب خشية العين عليهم، ولقد جمع الشعراوي بين الرأيين...حيث أنه يؤمن بتأثير العين، وذلك من قبيل ربط الأسباب بالمسببات؛ لأنَّ الدنيا قائمة على ذلك، وهذا من سنن الله – تعالى – في خلقه، فالسبب مؤثر في الظاهر، والله – تعالى – هو الفاعل في الحقيقة، حيث أنه سبحانه قد أكسب العائن القدرة على التأثير في الأشياء، وهي ما اعتبرها الشعراوي من جنود الله

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٥.

– تعالى – في الكون...لابتلاء البشر بها كما سيقول لاحقًا، ومن هنا كان جمعه بين الرأيين السابقين في تأويل الآية.

وبعد أنَّ أشار الشعراوي إلى مسألة أنَّ العين حق، اتجه إلى مزيدٍ من التفصيل في موضوع الحسد، وقد خرج من نطاق قصة يعقوب – عليه السلام – مع أبنائه إلى نطاقٍ أرحب، وهو تعميم موضوع الحسد والانسياق به إلى المعنى الإنساني العام، وذلك حتى يتسنَّى له معالجة باقي أطراف الموضوع كما يتراءى له من مضامين وأفكار.

فقد اتجه الشعراوي يصف ضعف الطاقة البشرية أمام العديد من نوازل الدهر، وأمام العديد من الأمور التي يعجز أمامها العقل الإنساني؛ لكي يبرز من خلال ذلك مدى احتياج البشر إلى معينٍ يقهر أمام قوته كل شيء..ولقد اتخذ من هذا المعنى سبيلًا إلى شحذ العقول، وتهيئتها لاستقبال الحلول التي سيطرحها...فقد شَخَّص الداء واستحضر له الدواء من الكتاب والسنة...قال الشعراوي: «وقد عَلَّمَنَا سبحانه أن نستعيذ به سبحانه من الحسد؛ لأنَّ الله – تعالى – قد عَلِمَ أزلًا أنَّ الحسد أمرٌ فوق طاقة دفع البشر، وهو القائل: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ

شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)[1]...ففي أمر الحسد أنت لا تستطيع أن تستعيذ بواحدٍ مساوٍ لك؛ لأنَّ الحسد يأتي من مجهول غير مدرك...»[2]

رأي بعض المفسرين في مسألة «تأثير العين»:

لقد وضحت بعض كتب التفاسير أنَّ هناك اختلافًا بين بعض المفسرين المقرين بتأثير العين، وبين المنكرين لذلك.

---

[1] سورة الفلق «ولقد ذكر الرازي في أسباب نزولها وجوهًا، أحدها: رُوِيَ أنَّ جبريل – عليه السلام – أتاه وقال: إنَّ عفريتًا من الجن يكيدك، فقال: إذا أويت إلى فراشك قل أعوذ برب السورتين، وثانيها: أنَّ الله – تعالى – أنزلهما عليه ليكونا رقية من العين، وعن سعيد بن المسيب أنَّ قريشًا قالوا: تعالوا نتجوع فنعين محمدًا ففعلوا، ثم أتوه وقالوا: ما أشدد عضدك وأقوى ظهرك وأنضر وجهك، فأنزل الله – تعالى – المعوذتين، وثالثهما: وهو =قول جمهور المفسرين أنَّ لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقجة، وفي وتر دسه في بئر يقال لها ذروان، فمرض رسول الله ﷺ، واشتد عليه ذلك ثلاث ليالٍ فنزلت المعوذتان لذلك، وأخبره جبريل بموضع السحر، فأرسل عليًّا – رضي الله عنه – وطلحة وجاءا به، وقال جبريل للنبي: حل عقده، وقرأ آية ففعل، وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، فكان يجد بعض الخفة والراحة» الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٦/ص٧٨٧.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٥.

ومذهب الجمهور – كما نعلم – مُقِرٌّ بتأثير العين، ودليلهم ما ورد عن ذلك في الكتاب والسنة، ولأجل هذا لم يناقش الشعراوي هذا الخلاف؛ لكونه لا يعني جمهرة المسلمين، حيث تدور رحى مثل هذا الخلاف في المعاهد العلمية المتخصصة، ولا تُثَارُ أمام عامة المسلمين غير المتخصصين، وهذا وعي من الشعراوي يقدَّر ويتعلم منه...فإثارة مثل هذه المسائل الخلافية بين العلماء على مسامع عامة الناس لن تجدي، بل سيؤدي إلى كثرة الأخذ والرد وإضاعة الوقت فيما لا يُسمن ولا يُغني من جوع، ولعَلَّ بعض الدعاة المعاصرين يقومون بذكر ما لا يستوجب عرضه على أسماع الناس، فينتج عن ذلك الاتجاه تشويش أفكار الناس، واعتقادهم بعدم استقرار العلماء، واختلافهم الدائم في المسائل العلمية، لذلك فطن الشعراوي بحسه الإعلامي الناضج إلى تنحية مثل هذه الفروع الخلافية غير الجوهرية وعدم عرضها أمام الجمهور.

ونعود إلى موضوع الحسد مرةً ثانية...فالشعراوي لم يعرض اختلاف العلماء في ذلك؛ لأنه لا يرى خلافًا بين الرأيين اللذين ذكرهما العلماء حول هذه المسألة، ولذلك جمع بينهما كما رأينا، ولكن لاشتغال المفسرين بهذه المسألة، وهي «تأثير العين» أردت أن أوصلها في شكلٍ موجزٍ وسريع.

يقول الزمخشري: «هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه؟ قلت: يجوز أن يُحْدِثَ اللّه عَزَّ وجَلَّ عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانًا فيه وخللًا من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاء من اللّه، وامتحانًا لعباده»[1]

وهكذا أوَّل الزمخشري مسألة تأثير العين، فنسب التأثير إلى اللّه – تعالى – وحده، ولقد أورد الطبرسي والرازي اعترض الجبائي على أمر العين، يقول الرازي: «إنَّ أبا علي الجبائي أنكر هذا المعنى إنكارًا بليغًا، ولم يذكر في إنكاره شبهة فضلًا عن حجة»[2]

وأوَّل الجبائي في تفسير أمر يعقوب لبنيه الدخول من أبوابٍ متفرقة، وليس من بابٍ واحد، ولقد أورده الطبرسي «وقيل: خاف عليهم حسد الناس إياهم، وأن يبلغ الملك قوتهم وبطشهم، فيحبسهم أو يقتلهم، خوفًا على ملكه عن الجبائي»[3]

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج٢/ص٤٦٩.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٩/ص١٠٢.

[3] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥/ص٣٣٠.

ولقد لاحظت أنَّ بعض المفسرين والمعاصرين ذكروا هذا التفسير دون إشارة إلى مسألة الحسد، ودون إبداء رأيهم فيه، ومن هؤلاء ما قاله محمد الغزالي: «ويظهر أنَّ يعقوب خاف عليهم أن يُتهموا بأنهم جواسيس دولة أجنبية» محمد الغزالي، نحو

وأيضًا لقد أورد الطبرسي رأي الشريف الرضي الموسوي في تأويله لقول رسول الله ﷺ: «العين حق» والذي يقول فيه: «إنَّ الله – تعالى – يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الأفعال التي يفعلها، ففير ممتنع أن يكون تغييره نعمة زيد مصلحة لعمرو، وإذا كان يعلم من حال عمرو أنه لو لم يسل زيدًا نعمته أقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة بعطفه، وإذا سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه فيها، وأعطاه بدلًا منها عاجلًا أو آجلا»[1]

ولكن يرد كل ما سبق من أقوال المنكرين لكون «العين حق» جميع الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، وكذا إقرار جمهرة المفسرين «بتأثير العين»[2] ولقد رَدَّ القرطبي على من ينكر تأثير

=تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، سورة يوسف ص١٨٤. ويقول د/ محمد البهي: «...حتى لا يكون جمعهم ملفتًا للنظر، مثيرًا للشبهة ضدهم» د/ محمد البهي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، سورة يوسف، ص٣٨.

[1] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥/ص٣٣١.

[2] لقد ذكر جُلُّ المفسرين الذين اطلعت عليهم بأنَّ العين حق وهم:
الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، انظر ج٧/ص٢٤٩-٢٥٠.
البغوي، معالم التنزيل، انظر ج٢/ص٣٦٧.
ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، انظر ج٣/ص٢٦١-٢٦٢.

العين بأنَّ: «العين حق، وأنها تقتل، وهذا هو قول علماء الأمة ومذهب أهل السنة، وقد أنكرته طوائف من المبتدعة، وهم محجوبون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة»[1]

ولقد أورد أبو بكر بن العربي في تفسير قوله تعالى: (لَا تَدۡخُلُوا مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُوا مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ...الآية)[2] أنَّ يعقوب في «أمره لهم بالتفرق – في ذلك أقوال – أظهرها أنه تقاة العين، ولا خلاف بين الموحدين أنَّ العين حق، وهو من أفعال الله موجود، وعند جميع المتشرعين معلوم»[3] ومن هنا كانت أصح الآراء هو الرأي الذي يرى أنَّ العين حق، ولها تأثير بدليل الكتاب والسنة، واتفاق معظم السادة العلماء، ولا يمكن أن تُغْفَلَ جميع هذه الأدلة.

=الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، انظر ج٥/ ص٣٣٠-٣٣١.

الرازي، مفاتيح الغيب، انظر ج٩/ص١٠١-١٠٤.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، انظر ج٤/ص٣٢٤.

الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، انظر ج٣/ص٣٠.

الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، انظر ج٧/ص١٦-١٩.

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥/ص٣٥٦١.

[2] سورة يوسف، الآية: ٦٧.

[3] أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، ج٣/ص١٠٩٢، ط. دار الفكر العربي.

(ب) عملية الحسد:

يسعى الشعراوي إلى توضيح عملية الحسد، كيف تتم ومِمَّ تنشأ، ويتناولها بشكلٍ ميسر قريب من فهم الجمهور، موظفًا في معالجته ما لديه من معارف علمية لزيادة الإيضاح، وإثارة التشويق لدى الجمهور، وهما – بلا شك – عنصران أساسيان في المجال الإعلامي بشكلٍ عام، وفي مجال الدعوة إلى الله – تعالى – من خلال تفسير النص القرآني بشكل خاص.

يقول الشعراوي: «فالشعاع الخارج من العين قد يتأجج بالحقد على كل ذي نعمة، وإذا كان عصرنا، وهو عصر الارتقاءات المادية قد توصل إلى استخدام الإشعاع في تفتيت الأشياء، إذن فمن الممكن أن يكون الحسد مثل تلك الإشعاعات، والتي قد يجعلها الله في عيون بعض خلقه، وتكون النظر مثل السهم النافذ أو الرصاصة الفتاكة، والحق سبحانه هو القائل: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)[1]»[2]

قد رأينا في تحليل الشعراوي السابق كيف يُقرِّب ويوضح للجمهور بنماذج معرفية علمية في العصر الحديث، حتى ييسر لهم

---

[1] سورة المدثر، الآية: ٣١.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٥-٧٠١٦.

معرفة كيف تتم عملية الحسد، ورغم أنَّ ما لجأ إليه الشعراوي في تحليله يخضع لمعارف العصر الحديث، إلا أنه لا تخلو كتب قدامى المفسرين من مثيل ذلك التحليل، وإن زاد عليه الشعراوي بتشبيهه عملية الحسد، وما تحدثه أشعة عين الحاسد في المحسود، بفعل شعاع الذرة فيما يُسلط عليه.

فلقد أورد الرازي في تفسيره أنَّ هناك أشعة تخرج من عين الحاسد تُلحق ضررًا بالمحسود، وحَلَّلَ ذلك بما يلي: «..فثبت أنَّ عند الاستحسان القوي تسخن الروح جدًّا، فيسخن شعاع العين، ولهذا أمر الرسول ﷺ العائن بالوضوء، ومن أصابه العين بالاغتسال»[1]

لقد اعتبر الشعراوي أنَّ القدرة لدى العائن على الحسد هي من الإمكانات التي أعطيت لبعض البشر ابتلاءً، وأنها أحد جنود الله – تعالى – في الأرض، ولذلك استحضر الشاهد القرآني (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ..)[2] أي «ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو»[3]

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٩/ص١٠٢.

[2] سورة المدثر، الآية: ٣١.

[3] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠/ص١٤٣.

ثم يسترسل الشعراوي قائلًا ومناقشًا: «وإن قال قائل: ولماذا يعطي الحق سبحانه بعضًا من خلقه تلك الخواص؟ أقول: إنه سبحانه يعطي من الإمكانات لبعضٍ من خلقه، فيستخدمونها في غير موضعها»[1] ويعني الشعراوي بالخواص؛ الذين وهبهم الله – تعالى – القدرة على التأثير في نفس أو شيءٍ آخر، ويقصد من ذلك قدرة العائن على الإصابة.

وهذا التأثير على أنواع كما ذكر الألوسي وهو «أنَّ تأثير شيء في آخر إمَّا نفساني أو جسماني، وكل منهما إمَّا في نفساني أو جسماني»[2] ويعني الشعراوي من كلامه السابق ضرورة أن يُحَوِّلَ الحاسد – الذي لديه هذه القدرة – هذا الشعور السلبي – وهو الحسد – إلى شعور إيجابي وهو الغبطة، فيحدث تغيير إيجابي في إرادته الداخلية النفسية، فيضبط مشاعره، وبالتالي ينشأ عن هذا السلام الاجتماعي، والذي يتحقق بزوال الحسد والأحقاد، وتزكية مشاعر المحبة، فيستطيع الحاسد بهذه الإرادة الطيبة التي يجاهد

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٦.

[2] الألوسي، روح المعنى في تفسير القرآن العظيم، ج٧/ص١٦، ولقد ذكر الألوسي أنَّ تلك الأصناف الأربعة يندرج تحتها ضروب الوحي والمعجزات والكرامات والإلهامات والمنامات وأنوع السحر والأعين ونحو ذلك، ج٧/ص١٦.
وهكذا عمم الألوسي معنى الأثير،و أدرج تحته أصنافًا عدة كما رأينا.

نفسه من أجل الوصول إليها أن يتحكم في نفسه، ويُحَوِّلُ ما لديه من طاقاتٍ سلبية إلى طاقاتٍ إيجابية فعالة ومؤثرة في المجتمع بشكلٍ حيوي وخير، فتُحَوِّلُ صاحبها من مصدر شرٍّ إلى مصدر خيرٍ لكل من حوله من أفراد مجتمعه العائلي بشكل خاص والإنساني بشكل عام، وهذا ما عناه الشعراوي من تَوَفُّر تلك القدرة والطاقة عند البعض، ولكن يوظفونها في غير مكانها، ويُساء استعمالها إذا لم يلتزم بالآداب التي شُرع فعلها وقولها عندما يُصادف المرء شيئًا يستحسنه، ويقع نظره عليه ممتلئًا بشعور الإعجاب الشديد، الذي يسري في أحشائه.

وقبل أن يطالعنا الشعراوي على تلكم الآداب التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان، وليس العائن فحسب، يستمر في خواطره حول مسألة كيف تتم عملية الحسد...وما هو منشأ الحسد. يقول: «...كل إنسان بشكلٍ ما عنده إمكانية النظر، ولكن الحقد هو الذي يولد الشرارة المؤذية...»[1]

فلقد أرجع الشعراوي عملية الحسد إلى ما يكتنفه صدر الحاسد من شعورٍ وإحساس، فلا يجد منفذًا دون الكلام والفعل

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٦.

سوى ما يخرج من عينيه معبرًا عما يمتلئ به قلبه من مشاعر سيئة، فيتولد عن ذلك ما أسماه الشعراوي بالشرارة المؤذية.

ولقد مَيَّز الجاحظ بين العداوة والحسد، فالعداوة عند عرض، والحسد جوهر. يقول الجاحظ: «والحسد نار وقوده الروح لا يبوخ أبدًا، ويفنى الوقود والحسد لا يبلى إلا ببلي المحسود أو الحاسد، والعداوة جمر يوقد الغضب ويطفئه الرضا، فهو مؤمل الرجوع مرجو الإنابة، والحسد جوهر والعداوة اكتساب»[1]

ويمكنني القول بأنَّ هناك تلاقيًا بين الشعراوي وبين الجاحظ، فلقد ذكر الجاحظ أنَّ «كل حاسد عدو، وليس كل عدو بحاسد، وإنما حمل اليهود على الكفر بمحمدٍ ﷺ...الحسد، وحجز بين علمائهم والإيمان به، ثم نتج لهم الحسد عداوته»[2]

فهو يرى بأنَّ الحسد يُوَلِّد عداوة...وذلك مثل حسد اليهود لسيدنا محمد ﷺ على النبوة، فنشأ وتَوَلَّد عن هذا الحسد...العداوة له ﷺ ولأتباعه، ولقد ربط الشعراوي بين الحسد

---

[1] الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، ص١٠٦، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر.

[2] الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، نشرها باول كراوس ومحمد طه الحاجري، ص١٠٥.

والعداوة كذلك. فقال: «ساعة ترى إنسانًا له شأن فترقب أن يُعَادَى، لذلك توجس يعقوب خيفة أن يُدَبَّر لهم أحد مكيدة؛ لأنهم أغراب»[1] ولذلك جمع الشعراوي في تفسيره لنصيحة يعقوب - عليه السلام - لأبنائه - بألا يدخلوا من بابٍ واحد - بين أنه قالها خشية العين، وكذلك خشية أن يُمْكَرَ بهم عداءً لهم؛ لأجل ما نالوه من مكانة عند يوسف - عليه السلام - ولأنَّ هذه المكانة ستُوَلِّدُ حسدًا لهم على ما هم فيه، وبالتالي ينشأ عنه عداوة ومحاولة النيل منهم.

(ج) طرق الوقاية من الحسد:

يطرح الشعراوي على الجمهور علاج موضوع الحسد، وذلك من خلال الكتاب والسنة في شكلٍ يسير تستقبله عامة الناس دون صعوبة، فينبه الجمهور قائلًا: «يمكنك أن تنظر دون حسد إن قلت: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بارك. يقول تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)[2] بذلك لا تتحقق الإثارة اللازمة لتأجج الشرارة المؤذية»[3] فهذه الآداب التي يجب أن يتحلَّى بها كل من يرى نعمة على أحد أو في أحد، قد أراد الشعراوي

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٥.

[2] سورة الكهف، الآية: ٣٩.

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٦.

باستحضارها إلى التنبيه على أنَّ هذه الكلمات القرآنية التي دلَّ عليها القرآن الكريم، قد سيقت لتهدئة نفس الحاسد، وهي كذلك من باب الاستعانة باللّه تعالى؛ للوقاية من الوقوع في زلل شر الحسد، وإصابة الناس بالشر، فهي في جملتها آداب عالية للرقي بالنفس البشرية عن براثن ما يحدثه الحسد من غلٍّ وحقدٍ في نفوس بعض الناس لبعض؛ ولأنَّ هذه الآداب هي من أسس حقوق الناس بعضها على بعض، والتي بها يصلح ويستقيم الاجتماع الإنساني.

ثم ينتقل الشعراوي إلى التنويه عن الآداب التي لا بُدَّ وأن يتحلَّى بها كل مؤمن حتى يأمن على النعم التي وهبها اللّه – تعالى – إياه، وكذلك كي يحفظ نفسه بذكرها، فهي وقاية له من أن يصاب بالحسد وغيره من جميع أصناف الشرور. يقول الشعراوي: «أن تستعيذ باللّه خالق البشر وخالق الأسرار، وتقرأ قول الحق: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)[1]»[2]

---

[1] سورة الفلق.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٦.

وعقب استيفاء الشعراوي لمعالجة النص القرآني لموضوع الحسد، اتجه إلى السنة النبوية المشرفة، ينهل منها ما يزيد الموضوع جلاءً وتأصيلًا وتعميقًا وتصحيحًا لمفاهيم موضوع الحسد في نفوس الجمهور، الذي طالما انخرط في ترهّاتٍ عدة؛ بسبب الأفكار المسمومة التي تكتنف موضوع الحسد عند العامة، وتعبث بألبابهم، فهذه المعالجة تتسم أول ما تتسم بضرورة اللجوء إلى الله – تعالى – بما أمرنا أن نلجأ به إليه، وهذا هو منتهى التسليم لله – تعالى – الذي يختفي ويندثر معه أي شرك بالله تعالى، ولأنَّ هذا هو مدعاة التوحيد الخالص، وبالتالي منشأ للنفوس السليمة، التي هي بناء وأساس المجتمع القويم.

فيأتينا الشعراوي بما كان يُعوِّذ به رسول الله ﷺ (الحسن والحسين) رضي الله تعالى عنهما، وفي هذا توجيه – للكافة – إلى أنَّ الاستعانة الحقيقة لا تكون إلا بالله تعالى، وأنَّ اللجوء الحقيقي لا يكون إلا لله تعالى، يقول الشعراوي: «لا بُدَّ وأن تقول كلمات رسول الله ﷺ حين كان يعوذ (الحسن والحسين) رضي الله عنهما، ويقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطانٍ وهامة، ومن كل

عينٍ لامَّة)[1] وقال رسول الله ﷺ: (كان أبوكما إبراهيم يعوذ بها (إسماعيل وإسحاق) عليهما السلام)»[2]

ولأنَّ الشعراوي يَعْنَى بما يدور في خلد الناس من بعض المسائل في أمور الغيب وغيره، وما قد يترتب عليها من مشكلاتٍ عدة في أوساط المجتمع الإسلامي...نراه يلتفت في تناوله لموضوع الحسد، باعتباره أحد الشواغل التي يعجز أمامها العقل الإنساني إلى الاستطراد لمسألة؛ ماذا يفعل الإنسان إذا استعصى عليه أمر ما وعجز عقله وعجزت أسبابه أمامه؟ نراه يعود بنا إلى السنة الشريفة؛ ليستقي منها الحل والعلاج...متدرجًا في معالجته لموضوع الحسد...كما نرى. يقول الشعراوي: ««كان ﷺ إذا حزبه أمر قام وصلى»[3] لأنَّ معنى حزب أمر للرسول ﷺ، أو لواحد من أتباع الرسول ﷺ أنَّ هذا الأمر يخرج عن قدرة البشر»[4]

---

[1] أخرجه الإمام/ أحمد في مسنده (٢٧٠/١)، والترمذي في سننه (٢٠٦٠) وأبو داود في سننه (٤٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٦-٧٠١٧.

[3] أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٨/٥)، وأبو داود في سننه (١٣١٩) من حديث حذيفة بن اليمان.

[4] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٧.

(د) ضرورة الأخذ بالأسباب:

إنَّ القارئ لمعالجة موضوع الحسد عند الشعراوي - وذلك من خلال هذه الآية التي نحن بصدد خواطره حولها - يستشعر أنَّ لديه خطًّا واحدًا يسري من أول الموضوع إلى آخره، وهو اشتغاله بمعالجة موضوع الحسد معالجة فعالة ومؤثرة في الجمهور، حتى يأمن ما يُخلفه من عقبات سلبية في صميم المجتمع الإسلامي، وتحول دون تقدمه، لذلك نراه قد انتهى إلى الفكرة الأساسية التي تشغل باله، والتي بنى الموضوع بأكمله لكي يصل إليها، وهي النتيجة التي يرنو إليها في علاج السلبية الفكرية عند الناس، والتي ينشأ عنها عدم أخذهم بالأسباب، فنراه قد ختم موضوعه بالمسألة الشائكة في موضوع الحسد، وهي ترك الناس للأخذ بالأسباب، والتي هي محل الفساد الفكري في مجتمعاتنا، ولكنه قد عرض لها في إطارٍ يتسم بالتعريض وليس بالتصريح، وهذا بالطبع أبلغ في التوصيل، وبخاصة إذا كانت خواطره تذاع من خلال أجهزة الإعلام، والتي يحبذ فيها عدم المباشرة في الوعظ والإرشاد.

فعقب ذكر الشعراوي لوسائل الوقاية من الحسد، نراه يؤكد على ضرورة أن يأخذ المرء بالأسباب. يقول الشعراوي: «...على الإنسان أن يأوي إلى المسبب، فهو الركن الشديد، ولكن بعد أن

أخذت أنت بالأسباب الممدودة لك من يد الله، وبذلك يكون ذهابك إلى الحق هو ذهاب المضطر، لا ذهاب الكسول عن الأخذ بالأسباب، والحق سبحانه يقول: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...)[1]، والمضطر هو من استنفد كل أسبابه، ولم يدع ربه إلا بعد أن أخذ بكل الأسباب الممدودة...»[2]

فهو يعني – من وراء هذا – ألا يقف المرء فحسب عند دائرة الذكر المكلفين به؛ لأنَّ هذا أمرٌ لا خلاف في أن نتمثل له، وأن نلجأ إلى رب العزة فيما يعن علينا من أمور، ولكن علينا مع هذا بضرورة استنفاد السعي والبحث والتنقيب عما إذا كانت هناك عوائق بالمرء نفسه، سواء عائق صحي، أو بدني، أو نفسي، أو عائق في طريقة تفكير المرء، فربما يسيء استعمال عقله...وينتج عن ذلك مُلمات عدة تصيبه في حياته...وهكذا، فإن فشلت جميع محاولاته المرتكزة على أسس صحيحة، فعليه بالركون إلى الله – تعالى – مصطحبًا ذلك بحسن التفكير والتخطيط والسعي الدءوب إلى تحقيق النجاح، والبحث الدائم عن سبل الفلاح. ومن هنا ينشأ المجتمع الإيجابي، الذي لا تصرفه مثل هذه الموضوعات عن التفكير السوي في شئون

---

[1] سورة النمل، الآي: ٦٢.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٧.

حياته، ولذلك يقول الشعراوي: «...فلا تطلب من ذات الله قبل أن تأخذ ما قدمه لك بيده سبحانه من أسباب»[1]

والأخذ بالأسباب وتفعيل الفكر الإيجابي في المجتمع لا يتنافى والتوكل على الله تعالى، فمن أسس الله – تعالى – في الكون أنَّ الدنيا قائمة على الأسباب والمسببات، وكلاهما من سنن الله – تعالى – في كونه، ويستدل الشعراوي على ذلك بما قاله يعقوب – عليه السلام – لأبنائه بعد أن أوصاهم بألا يدخلوا من بابٍ واحد، أخبرهم كما قال الله – تعالى – حكاية عن نبي الله (يعقوب) عليه السلام: (وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ...)[2] أي: لست أغني عنكم بحذري هذا من قدر الله، فهو مجرد حرص، أما النفع من ذلك الحرص والتدبير فهو من أمر الله، ولذلك قال: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[3]، فكل الخلق أمرهم راجعٌ إلى الله، وعليه يعتمد يعقوب، وعليه يعتمد كل مؤمن.[4]

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٨.

[2] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

[3] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

[4] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٨.

ويعضد هذا ما ذكره الرازي في تفسير قوله تعالى: (لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)[1] في أنه «إشارة إلى رعاية الأسباب المعتبرة في هذا العالم»[2] هذا أيضًا مع التوكل على الله، والذي هو «الاسترسال مع الله – تعالى – على ما يريد»[3] فقد أوصى نبي الله – يعقوب – بنيه خشية الحسد «ثم تنبهت قضية الإيمان بما يقتضيه من تسليم لمشيئة الله، فقال: (وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ...)[4]»[5]

غير أنَّ ابن عطية يرى أنَّ يعقوب – عليه السلام – أمر أبناءه بذلك، حتى تطيب نفسه، فذكر ابن عطية في ذلك: «...إنما طمع يعقوب أن تصادف وصيته قدر السلامة فوصَّى وقضى بذلك حاجته في نفسه في أن يتنعم برجائه، أن تصادف القدر في سلامتهم»[6]

---

[1] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب،ج٩/ص١٠٤.

[3] التستري، تفسير التستري، سورة يوسف، الآية: ٦٧.

[4] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

[5] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٨.

[6] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ج٣/ص٢٦٢.

ولقد أورد ابن عطية موقفًا لرسول الله ﷺ مناظرًا لما فعله يعقوب مع أبنائه، وموضحًا لما قاله ابن عطية، يقول: «نظير هذا الفعل أنَّ رسول الله ﷺ سدَّ كوة في قبر بحجر، وقال: (إنَّ هذا لا يغني شيئًا، ولكنه تطيب لنفس الحي)»[1]

ونجد من أصحاب المدرسة الحديثة في التفسير الشيخ/ عبد الكريم الخطيب قد نحا منحًا اجتماعيًّا في تحليل موقف يعقوب – عليه السلام – مع بنيه، ورأى أنَّ هذا الموقف يحمل إشارة قرآنية مهمة في أنَّ «واجبًا على الإنسان أن يدبر نفسه، وأن ينظر في شئونه وأحواله، وأن يزنها بالميزان الذي ترجح فيه كفة خيرها على شرها...»[2]

وبجانب هذه النظرة الواقعية الاجتماعية في تحليل الآية، إلا أنه لم يغفل أن يتحدث عن القضاء والقدر ودورهما حيال الحرص والحيطة، ثم تنويهه عن السلبية التي قد نرى وجودها عند بعض الناس تجاه مجريات الأمور، لذا فهو يدعو بأن يكون المرء إيجابيًّا على كل الأحوال؛ وذلك لأنَّ «الإنسان مطالب بأن يعمل غير ناظر إلى قدر الله وقضائه؛ لأنه لا يعلم ولا يرى ما قدَّره الله وقضاه، ولو

---

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ج٣/ص٢٦٢.

[2] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣/ص٢٢.

أنه انتظر حتى ينكشف له القضاء ما عمل شيئًا أبدًا...ولكان بهذا كائنًا مسلوب الإرادة فاقد الإدراك، وهذا ما لا ينبغي أن يكون عليه الإنسان، وقد وهبه الله عقلًا فيه إرادة»[1] ثم يربط الشيخ/ عبد الكريم الخطيب بين تحليله السابق ذي المرامي الاجتماعية، وبين قصة يعقوب – عليه السلام – مع بنيه، مجددًا التنبيه على أنَّ هذه الإشارة الواردة في القصة توجيه مهم للأمة الإسلامية بضرورة الفصل بين الأخذ بالأسباب وبين المشيئة الإلهية، وهذا أيضًا ما أكده الشعراوي آنفًا. يقول عبد الكريم الخطيب: «...إشارة إلى أنَّ يعقوب يعلم هذه الحقيقة، وهي أنَّ قضاء الله نافذ لا مرد له، ولكنه مطالب بأن يعطي وجوده حقه، من حيث هو إنسان عاقل مريد»[2]

وفي الحقيقة أنَّ مثل هذا التحليل وغيره، يمس بعضًا من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي نعاني منها الآن في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ومن أهمها التقاعس عن الأخذ بالأسباب، ويتجلَّى هذا أيضًا في موضوع الحسد، فكثير من الناس يلصقون أية مصيبة تصيبهم بالحسد، ويشتغل الناس به إلى حد الهلع، ثم يلجئون إلى علاجه بطرق غير منطقية، عارية عن المرجعية الدينية

---

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣/ص٢٢.

[2] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣/ص٢٢.

السليمة، وفي كثير من الأحيان تجرف بأصحابها إلى حد الشعبذة والخرافات، وهذا يعد من السلبية الفكرية التي سادت في مجتمعاتنا، معلقة لكثير من الأمور على أوهام لا تُسمن ولا تُغني من جوع، دون النظر فيما يجب أن يؤديه البشر من واجبات تأمن عليهم أمور معايشهم.

وفي الحقيقة أنَّ مثل هذه التحليلات التي عرض لها الشعراوي وبعض العلماء القدامى والمحدثين، هي دفعة مهمة في طريق إصلاح المفاسد الفكرية والخلقية للمجتمعات الإنسانية، فموضوع الحسد وما يتصل به من مسائل أخرى ما زالت تهدد الكيان الفكري السليم لمجتمعنا الإسلامي.

وهذا السعي الطيب من الشعراوي وغيره من السادة العلماء في تطهير أفكار المجتمع الإسلامي من هذه السموم التي تذهب بخير المجتمع، لهو من صميم الدعوة المثمرة، حيث إنَّ الشريعة الإسلامية تُعد المصدر الحقيقي لإمداد المجتمع الإسلامي بما يصون به عقيدته، ويحيا بمبادئه فعالة ومثمرة في حياته.

ولهذا التفت الشعراوي إلى موضوع الحسد، ليس من واقع الإشارة الواردة في القصة فحسب، وإنما من واقع ما يلمسه من خلل في فهم موضوع الحسد لدى الناس، فاتسم عرضه بالتحليلات

العقلية والنفسية، التي من شأنها أن تساهم في محو الجهل وإحلال الفهم الصحيح مكانها.

الملخص:

وصفوة القول من هذا العرض السابق أنَّ الشعراوي قد عرض من خلال هذا الفصل لموضوع الحسد، وذلك من خلال خواطره في سورة يوسف – عليه السلام – حول قول الله تعالى: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[1]

فاستغل التوجيه الوارد في القصة، وهي نصيحة يعقوب – عليه السلام – لبنيه بألا يدخلوا من بابٍ واحد، خشية العين عليهم، فانطلق من وحيها معالجًا لموضوع الحسد، باعتباره أحد الموضوعات التي لها خطورة على البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي، وما له من تأثيرات سلبية تعوق مسيرة تقدمه، ولذا فقد استوقف الشعراوي موضوع الحسد من خلال قصة يعقوب – عليه السلام – مع بنيه، وعالجه من خلال مصدري التشريع الكتاب والسنة المطهرة، مع توظيفه لما لديه

[1] سورة يوسف، الآيات: ٦٧.

من معارف علمية واجتماعية، ولقد تناول الشعراوي هذا الموضوع من خلال العناصر التالية:

(أ) خشية يعقوب – عليه السلام – على أولاده من العين:

في تناول الشعراوي لهذا العنصر نراه لم يُقحم نفسه في المسألة الخلافية التي دارت بين العلماء في فهمهم لسبب نصيحة يعقوب – عليه السلام – لبنيه، أكانت خشية تأثير العين فيهم، أم مخافة مكر الماكرين بهم؛ وذلك لأنَّ من قال بالتفسير الأول فقد أثبت تأثير العين، ومن قال بالثاني فقد نفى تأثير العين.

فقد جمع الشعراوي بين القولين؛ لأنه لا يرى خلافًا بينهما، فالحسد يفضي إلى المكر والعداء، وإلى تمني زوال النعمة، وأثبت أنَّ العين حق، وأنَّ الحسد موجود، فهو يؤمن بتأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمُسَبِّبات، فالسبب مؤثر في الظاهر، والله – تعالى – هو الفاعل في الحقيقة، وبالتالي من قال من المفسرين بتأثير العين، لا ينافي من قال بأنَّ هذا من فعل الله تعالى.

ثم أشار الشعراوي إلى ضعف الطاقة البشرية أمام الحسد، وعرض لهذا؛ كي يُبرز احتياج البشر الدائم لله – تعالى – فشخَّص الداء لكي يعرض له الدواء تدريجيًّا.

ولقد أردفت هذا العنصر...بتناول سريع لآراء بعض المفسرين حول مسألة العين، فلقة منهم ينكرون تأثير العين، ويتأولون الأحاديث والآيات كي يثبتوا ذلك، ومذهب الجمهور مُقِرٌّ بتأثير العين من خلال أدلتهم من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، وأثبت من خلال هذا العرض حنكة الشعراوي الإعلامية والدعوية في عدم عرضه لمثل هذه المسائل الخلافية على مسمع من عامة الناس؛ لأنها قد تؤدي إلى ذبذبة أفكار الناس، ونتائج ذلك غير محمودة العاقبة، ولا جدوى من إثارتها.

(ب) عملية الحسد:

لقد عرض الشعراوي من خلال هذا العنصر كيف تتم عملية الحسد ومم تنشأ، فوصف أنَّ الحاسد يحمل حقدًا كامنًا في نفسه، يتحول من شدته إلى أشعة تخرج من عين الحاسد تصيب المحسود، ومثَّل على ذلك بالأشعة التي تستخدم في العصر الحديث حينما تُسَلَّط على شيء تفتته، وقد بدا تأثر الشعراوي بالرازي في هذا التحليل، غير أنه زاد عليه بتوظيفه لمعارف ومعلومات علمية تستخدم في العصر الحديث.

ولقد أشار الشعراوي إلى أنَّ هذه الأشعة تُعد أحد جنود الله – تعالى – في الأرض، وهي من باب ابتلاء الخلق، وناقش من خلالها

أنَّ مثل هذه الإمكانات التي تُعْطَى لبعض الخلق – من حيث القدرة على التأثير في شيء أو في نفس، ويقصد قدرة العائن على الإصابة – من أنه يجب على الحاسد الذي لديه هذه القدرة أن يحول هذه الطاقة السلبية وهو الحسد، إلى طاقة إيجابية وهي الغبطة، فيُحْدِث تغيير إيجابي في مشاعره وإرادته، فينشأ عن ذلك السلام الاجتماعي، والذي يتحقق بزوال الحسد والأحقاد، ويساعده على هذا التزام الآداب التي شرع فعلها وقولها عندما يقع نظره على شيء يستحسنه.

وكان هناك تلاقٍ بين الجاحظ والشعراوي في موضوع الحسد، بينته في موضعه المناسب من هذا العنصر.

(ج) طرق الوقاية من الحسد:

ولقد عالج الشعراوي من خلال هذا العنصر كيف تكون الوقاية من الحسد، مدعمًا ذلك بشواهد من الكتاب والسنة المطهرة، فنراه يعرض للآداب التي يجب أن يتحلَّى بها صاحب النعمة، والآداب التي يجب أن يتحلَّى بها الحاسد، منتهيًا بضرورة رد الأمر كله لله – تعالى – في كل الأمور التي يعجز أمامها العقل البشري.

وتتسم معالجته تلك بتوجيه الكافة إلى اللجوء لله – تعالى – بما أمرنا أن نلجأ به إليه؛ لأنَّ هذا هو منتهى التسليم المطلق لله

تعالى، والذي يختفي ويندثر معه أي شرك بالله – تعالى – فهذا هو مدعاة التوحيد الخالص، الذي هو منشأ النفوس السليمة التي هي بناء وأساس المجتمع السوي.

(د) ضرورة الأخذ بالأسباب:

إنَّ ترك الإنسان للأخذ بالأسباب يُعد من أهم ما يعتري الفكري الإنساني من تخلف وركون، وهو من أكبر المفاسد الفكرية المنتشرة في مجتمعاتنا الإسلامية، وهناك خلطٌ كبير بينه وبين التوكل على الله تعالى، ولقد كانت هذه الفكرة هي الخط الأساسي الذي يسير الشعراوي قُدُمًا من أول الموضوع، حتى يصل إليه في نهاية المطاف، وذلك من خلال معالجته لموضوع الحسد، الذي يُعد أحد أبرز المواضيع التي تتضح فيها هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة، ولذلك يقول: «...لا تطلب من ذات الله – تعالى – قبل أن تأخذ ما قدمه لك بيده سبحانه من أسباب»[1] فهو يريد أن يدفع بالجماهير المستمعة إليه إلى استنفاد السعي والبحث والدراسة قبل أي شيء...فإن فشلت جميع محاولاتهم المرتكزة على أسس صحيحة، فعليهم أن يلجئوا إلى الله – تعالى – لجوء المغلوب على أمره.

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١١/ص٧٠١٨.

ويؤكد الشعراوي على أنَّ الأخذ بالأسباب ومداومة السعي الإيجابي في حياة الفرد لا يتنافى والتوكل على الله تعالى، واستدل على ذلك بموقف يعقوب – عليه السلام – مع بنيه، فقد نصحهم وأردف نصيحته لهم بأنها لا تغني من قدر الله – تعالى – من شيء، لكن كان لا بُدَّ عليه أن يُعْمِلَ عقله ويُوَجِّه أبناءه للأخذ بالأسباب.

ولقد استحضرتُ ما يعضد ما ذهب إليه الشعراوي في هذه المسألة، من آراء بعض العلماء مثل الرازي والتستري...ومن المحدثين عبد الكريم الخطيب.

●●●